الخطاب الإصلاحي بين تأصيل المواطنة ونبذ الشخصانية
(خطاب عبد العزيز الشريف نموذجا)[1].

د. موسى بن موسى/ قسم العلوم الإنسانية/ جامعة الشهيد حمه لخضر

ملخص بالعربية :

الخطاب الإصلاحي رافد من الروافد المشكلة لخطاب الحركة الوطنية بالجزائر، خاصة خلال فترة الثلاثينات من القرن 20م، لما للخطاب الإصلاحي من دور في بناء رؤية تؤسس للهوية انطلاقا من الانتماء إلى الوطن في نسق المواطنة، وذلك لا يتأتى إلا من خلال نبذ الشخصانية، والخطاب المرصد يبين مدى تأصيل الحس المواطني من خلال نبذ الشخصانية، وهذا الخطاب لصاحبه عبد الشريف شيخ الطريقة القادرية بربوع بلاد الجزائر المحتلة وهو في محنته التي تعرض لها من خلال أحداث أفريل 1938 بوادي سوف.

ملخص بالانجليزية :

The reform discourse tributary of tributaries problem for speech national movement in Algeria, especially during the thirties of the 20 century, because of the reformist discourse of role in building the vision of establishing identity from belonging to the homeland in the format of citizenship, and therefore can not be achieved only through the renunciation of personalism, and woodcutter Observatory shows over rooting sense of citizenship by renouncing personalism, and this speech to his companion Abdul Sharif Sheikh Atarika Alquadiriya Probed occupied Algeria, a country in the ordeal suffered by April 1938 through of Oued Souf.

مقدمة :

الحركة الوطنية الجزائرية خلال فترة الاحتلال عبر مختلف مراحلها، خاصة ما بين سنتي (1919 – 1954) تنوّع فسيفسائي، سمح ببروز خيارات عديدة جسّدت مفاهيم ومشاريع متنوعة، كان من بينها الخطاب الذي يؤسس للدولة الجزائرية الواجب قيامها.

كما كان للحركة الوطنية الجزائرية تنوّع فسيح في الرؤية للدولة المحتلة، وسياساتها التغريبية. هذا ما فرض خطاب متنوّع كل حسب آلياته السياسية، ومن بين اتجاهات الحركة نجد التيار الإصلاحي؛ الذي مثّلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حاولت باستمرار التشهير بخطورة سياسة التهميش والطمس الحضاريين انطلاقا من المواقف التي كانت تبديها إدارة الاحتلال من قضايا عديدة من أهما الدين والتعليم.

وهذا من خلال الأسس التي حاولت الجمعية إبرازها من خلال الشعار الثلاثي : – الإسلام ديننا. – العربية لغتنا. – الجزائر وطننا. وجمعية العلماء المسلمين من خلال هذا الشعار تحاول أن تحدّد ملامح الهوية والانتماء الحضاري والسياسي، حتى تؤكد لكل من يتردد في تحديد أبجديات الانتماء بجميع أشكاله وميادينه.

كما أنها تجسد ملمح تميزت به دون غيرها من الجمعيات والمنظمات بالبلدان العربية والإسلامية عن المنطلقات التي اعتمدت عليها الحركة الماسونية التي ظهرت في شعار الثورة الفرنسية (الأخوة – المساواة – العدالة)، وجمعية العلماء المسلمين من خلال شعارها تحاول أن تجسد تمايزا نوعيا، وهذا التمايز أثر بالإيجاب في العديد من الأدوات والوسائل، ومن بين هذه الوسائل نجد الخطاب الإصلاحي الذي شكل لونا معين ظلت جمعية العلماء الجزائريين تتباهى به لما شكله من تمايز أدبي للأسلوب اللغوي القائم على القواعد والأسس الصحيحة من جهة.

والتباين السياسي من خلال الإلمام والإحاطة بالأوضاع العامة، والجدية والصرامة في المطالبة، والصدق من خلال مشاركة الشعب همومه وأفراحه. وعليه فإن الخطاب آلية من الآليات العديدة التي استعملتها الحركة الوطنية بجميع أطيافها، ومن بين ما اختارته هو الخطاب الإصلاحي الذي أرسل به الشيخ عبد العزيز الشريف لمؤتمر الطرقية المنعقد ببسكرة أيام 20 إلى 25 ماي 1938. وهو في سجنه (سجن الكدية) بقسنطينة نتيجة الأحداث الأليمة التي شهدها إقليم وادي سوف في أفريل 1938، وما كان لهذا الخطاب من أثر فاعل على المؤتمرين والسكان المسلمين بإقليم وادي سوف الذين وجدوا في الخطاب نوع من التسلية والترويح عن النفس، وقد قرأ الخطاب أخوه الشيخ محمد الصالح بن الهاشمي الشريف وشيخ الطريقة القادرية بالنيابة. ومن هنا يجب الوقف عن الإشكال المتمثل في :

ما موقع الخطاب الإصلاحي من تأصيل المواطنة ونبذ الشخصانية؟

وحتى نستطيع الإجابة عن الإشكال لا بد من خوض الخطوات الآتية :

1 – شخصية عبد العزيز الشريف ودراسته.

2 – عودت الشيخ عبد العزيز من جامع الزيتونة وتوليه مشخية الزاوية القادرية.

3 – أزمة الشيخ عبد العزيز وخطابه المرسل لمؤتمر الطرق والزوايا بالجزائر.

– ملحق : نص الخطاب.

1 – شخصية عبد العزيز الشريف ودراسته :

أ – المولد والنشأة :

عبد العزيز الشريف بن محمد الهاشمي بن إبراهيم بن أحمد الشريف، ولد بزاوية والده بقرية البياضة، سنة 1898م، وكان توأما لأخته كما أنّه الابن الثالث للشيخ الهاشمي[2]، وبهذه القرية نشأ وترعرع وعاش طفولته وشبابه في كنف أمه المدعوة خديجة

النّانة، وأبيه الشيخ الهاشمي[3]، شيخ الطريقة القادرية وبطل المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي ولهذا عاش عبد العزيز في جو ديني فيَّاض بشتى صور العبادات، وفي جو آخر وطني مفعم بالبطولة والشجاعة التي ورثها عن والده وشبّ عنها والتزم بها في شبابه وكهولته وظل كذلك طوال حياته ثورياً صادقاً[4].

ب – دراسته وتعليمه :

منذ الصبا، وفي سن مبكرة تمكن الفتى عبد العزيز الشريف من حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا[5]، وتلقّى مبادئ العلوم، وتعلّم مبادئ اللغة والدّين في زاوية أبيه، وتوسّع في المبادئ العلمية المختلفة[6] عند بعض شيوخ المنطقة الذين بذروا فيه حب العلم والتعلم، بالإضافة إلى تشجيعه على مواصلة التعلم في جامع الزيتونة المقصد الأكبر لطلبة العلم بربوع وادي سوف. وذلك لبدائية التعليم من جهة والإمكانيات المحدودة من جهة أخرى يضاف إليها السياسة الاستعمارية تجاه التعليم بالجزائر قاطبة ناهيك عن الأقاليم الصحراوية، غير أن هذا الوضع المزري لم يثني من عزائم بعض الفتية الذين كانت تطلعاتهم للتعلم مقصد شرعي انطلاقا من الحديث الشريف : ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾[7]، وهذا الحديث حجة لرفع الهمة لدى بعض شباب السكان الجزائريين المسلمين قصد رفع الغبن عن الأمة، وما تلقاه من تهميش ممارس عليها من طرف المحتل الفرنسي.

هاجر الفتى عبد العزيز الشريف إلى تونس سنة 1913م، ليلتحق بجامع الزيتونة المعمور، وكان ذلك بتوجيه من والده الهاشمي[8] الذي جعل له ولأخيه عبد الرزاق راتباً شهرياً[9] يضاهي راتب مدرّس من الطبقة ال0ثانية بجامع الزيتونة، وجعل الإشراف في ذلك للنضارة العلمية بجامع الزيتونة[10].

وهذا الموقف الذي أبداه الشيخ الهاشمي كان محل إعجاب لدى الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس حينما أثنى عن الدور الذي قامت به الطريقة القادرية ما ثلة في شخص الشيخ (محمد) الهاشمي الشريف الذي جسد الشخصية الجزائرية السوية بقوله : « كان الشيخ محمد الهاشمي شيخ الطريقة القادرية –رحمه الله– رجلاً قوياً ذكياً واسع الحيلة بعيد النظر، فأدرك بثاقب رأيه أنّ ما عليه الطريقة من الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلاً في عصر العلم والنهوض، وأنّ المستقبل للعلم لا محالة، فولَّ وجهه شطر العلم وقدَّم أبناؤه لجامع الزيتونة المعمور وحبس أملاكه على العلم واشترط في حبسه أن تعمَّر زواياه بأهل العلم من أئمة ومدرّسين ومتعلمين واشترط في أبنائه أنَّ لاحظ لأحدهم في الحبس إلاَّ إذا حصل على الشهادة العالمية التطويع من جامع الزيتونة وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جامع الزيتونة، وبنا عمله هذا على أنّ أملاكه هي أموال المسلمين فلتعُد بالنفع على المسلمين فكان عمله هذا عملا فريدا لم يسبق إليه احد من أمثاله.[11]». وترك الشيخ الهاشمي عددا من الأبناء منهم : عبد الرزاق – عبد القادر – عبد العزيز — الطيب – محمد الصالح – إبراهيم[12]– زهور — مائسة – إدزيرية[13]. وبهذا كان الشيخ عبد العزيز أوّل الناجحين ضمن أقرانه وإخوانه إذ تحصل على شهادة التطويع[14] في حياة والده بامتياز[15]، وكان من بين أساتذته الشيخ الطاهر بن عاشور[16].

2 – عودة الشيخ عبد العزيز من جامع الزيتونة وتوليه مشخية الزاوية القادرية :

أ – عودة الشيخ عبد العزيز من جامع الزيتونة:

عاد عبد العزيز الشريف سنة 1923، فوجد والده قد حَبس زاوية عميش وفروعها على أولاده الثلاثة، واشترط في من يخلفه على رأس الزاوية وإدارة أملاك العائلة أن يكون حائزاً على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، وعند وفاته تصادف أن هذا الشرط

الأخير لم يتوفر إلاَّ في عبد العزيز، وكان عمره آنذاك حوالي 25 سنة، وهو الشيء الذي جعل الشيخ الهاشمي يقوم بالإجراءات القانونية اللازمة لتمكين عبد العزيز من تولي مشيخة زاوية عميش قبل وفاته بشهرين، وعلى الرغم من أن مشيخة زاوية عميش قد آلت قانونيا إلى الشيخ عبد العزيز إلاّ أنّه تخلى عنها هذا الأخير لصالح أخيه الأكبر عبد الرزاق[17] الذي كان على وشك التخرّج من الزيتونة، بحيث شارك في امتحان الدورة العادية للحصول على شهادة التطويع لكنه أجّل إلى الدورة الثانية في أكتوبر 1923[18]، كما أنّ حالته الصحية متدهورة، فتوفي بعد ثلاثة أشهر تقريباً من تنصيبه على رأس الزاوية، ممَّا جعل مشيخة هذه الزاوية تعود مرة ثانية إلى الشيخ عبد العزيز[19].

ب – عبد العزيز الشريف وتوليه مشخية الزاوية القادرية :

وبعد وفاة الشيخ الهاشمي وقع الاختيار على الشيخ الشاب " عبد العزيز الشريف" الابن الثالث له لكونه الحاصل على شهادة التطويع، غير أن هذا الأخير تخلى عن المنصب لصالح أخيه الأكبر " عبد الرزاق الشريف "[20] الذي لم يعمر طويلا في المنصب نتيجة حالته الصحية المتدهورة، ولم تدم خلافته على الزاوية إلا ثلاثة أشهر[21]، فما كان على الشيخ عبد العزيز الشريف الذي لم يتجاوز سن الخامسة والعشرين من عمره إلا القبول بأمر الواقع والامتثال إلى حقيقة توليه رئاسة الزاوية، غير أن ثقافة عبد العزيز وطبيعته جعلته يصرح برغبته في التخلي عن مشيخة الزاوية[22]. فكان دور الطريقة القادرية دورا فاعلا باعتباره استمرارية لمناهضة الاحتلال بشتى الوسائل. لكن هذا لا ينفي بعض المواقف التي كانت الزاوية القادرية تبديها للإدارة الاستعمارية في إطار النكاية بالطريقة التجانية التي لم تنته إلا عندما أصيب الشيخ الهاشمي الشريف بالمرض الذي أقعده الفراش إلى أن توفته المنية سنة 1923، وهذا ما تؤكده الوصية التي تقر نهاية هذا الخصام.

3 – أزمة الشيخ عبد العزيز وخطابه المرسل لمؤتمر الطرق والزوايا بالجزائر :

أ – أزمة الشيخ عبد العزيز الشريف:

إن أزمة الشيخ عبد العزيز هي في حقيقة الأمر أزمة الإقليم برمته، وفصول هذه الواقعة تعود في الأساس إلى زيارة المدير العام للشؤون الأهلية، ومناطق الجنوب الجزائري السيد "ميلييوت" "Milliot" إلى وادي سوف، وقد علم الشيخ بها الأمر حينما كان ببسكرة، وهو يعد للسفر إلى باريس لأسباب صحيّة ألمت به في شهر أفريل 1938، فتراجع عن أمر السفر العلاجي، وعاود الرجوع إلى الوادي عازما على الالتقاء به، والاحتجاج أمامه[23]، فاستطاع الشيخ عبد العزيز جمع 12.000 من سكان الوادي يوم 12 أفريل 1938، وتجمّعوا أمام مقر الحاكم العسكري بالوادي[24]، واستقبل السيد "ميلييوت" الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي في المكتب ودارت بينهما مفاوضات عسيرة استغرقت حوالي ثلاثة ساعات تمحورت حول عريضة السكان[25]، ويمكن إجمال ما جاء في عريضة السكان في النقاط التالية:

- تدخُّل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية للأهالي الجزائريين.
- غلق المساجد والمدارس العربية الحرّة بدون مبرّر.
- الاضطهاد الاستعماري الذي يئن الأهالي تحت وطأته.
- مراعاة البعثات التبشيرية من قبل الحكومة الفرنسية، وتسهيل مهامها.
- عدم التكافؤ بين أجور الأئمة والأهالي الموظّفين في السلك الديني، وأجور الآباء البيض والقساوسة الذين يعملون في الجزائر.

أمّا القسم الثاني من مطالب الشيخ فقد تمحور حول سلوك القياد وأعوان السلطة الاستعمارية.

أمّا القسم الثالث من المطالب فكان حول الحالة الاقتصادية المتدهورة للمواطنين في سوف[26] ومن ضمنه مساعدة الفقراء والمحتاجين بالحبوب والغذاء، وطالب بتزويدهم بـ 10 آلاف قنطار من القمح[27].

وافق الموظّف السّامي على هذه المطالب وأخبر الشيخ أنه سيرفعها إلى السلطات العليا، وهكذا ظنّ ممثلوا الإدارة الفرنسية، أن كل شيء قد انتهى غير أنهم فوجئوا يوم 13 أفريل 1938م، بتجدّد المظاهرة عندما عزم ميلييوت على المغادرة واجتمعت الجماهير أمام مقر الحاكم العام مرة ثانية، ورفعوا أصواتهم بالهتاف المندد بالسياسة الاستعمارية وتطوّر ذلك إلى استعمال العصي والحجارة ضد أعوان إدارة الاحتلال، فتدخلت القوات الفرنسية واعتقلت حوالي 32 شخصاً وأودعتهم السجن[28] ودخلت مرّة أخرى في مفاوضات جديدة مع الشيخ عبد العزيز الذي يمثّل الأهالي، وقدم الشيخ للمسؤول السياسي الفرنسي مطالب كادت تدور حول النقاط التي سبق للشيخ عبد العزيز وأن تطرّق إليها في اليوم السابق، فقبلها ووعد الأهالي بتقديم هذه المطالب إلى حكومته، وبعد تفرق المتظاهرين ورجوع الهدوء نسبيا بعث الشيخ عبد العزيز برقية ثانية إلى السلطات العليا الفرنسية في كل من الجزائر وباريس يحتّج فيها ضد الإجراءات التعسفيّة التي اتّخذت ضدّ الدين الإسلامي والمؤسسات التعليمية العربية في الجزائر، وتصادف أن وضعت سلطات الاحتلال في نفس اليوم يدها على نصّين لقصيدتين شعريتّين اعتبرتهما دعوة للثورة ضدّ فرنسا، ونتج عن ذلك تذمر المواطنين من السياسة الاستعمارية أنَّهم تصدُّوا خلال أسبوعاً كاملاً بين 13-18 أفريل من سنة 1938 إلى سيارات الكولون بالحجارة والعصي، وفي 17 أفريل صمّم الشيخ عبد العزيز على تنظيم مظاهرة شعبية كبيرة فتنقل بين قرى سوف، تكسبت، كوينين، قمار، رقيبة، سيدى عون، دريميني...الخ يدعو الناس للالتحاق به في الوادي في اليوم التالي 18 أفريل 1938[29].

في هذا الوقت كانت السلطات العسكرية بالجنوب قد حضّرت نفسها لمحاصرة الوادي ومنع احتمال وقوع أيّة انتفاضة في حالة توقيف عبد العزيز بن الهاشمي، وبالفعل فقد وضعت الحامية العسكرية بالوادي في حالة تأهب وجاءت تعزيزات أخرى من ورقلة، بسكرة، ودخلت الوادي[30].

اندلعت المظاهرة في البلاد ووقعت صدامات دموية بين السكان وقوات الطوارئ الفرنسية التي حاصرت المنطقة بحشود ضخمة تزامنت مع تحليق الطائرات في سماء المنطقة وألصقت بالمساجد منشورات وتعليمات تدعو الناس إلى الهدوء والعودة لمصالحهم، وممّا جاء فيها: "لا تتّبعوا هذه الفئة الضَّالة، وعودوا إلى أعمالكم، إنَّ فرنسا عظيمة وهذا بسبب حُلمها إلا أنها تُعامل بقوة فعّالة عندما تلجئها الضرورة لذلك"[31].

وخلَّد الإمام ابن باديس في "جريدة البصائر" وقائع كارثة سوف الأليمة بما يلي: «... عجّ وادي سوف يوم 18 أفريل 1938م بالجنود والعتاد ورصِّعت رِباه بالمدافع الرشاشة وأرعدت أجواءه بأزيز الطائرات فأوشك أهله ونساؤه وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع ووضعت نحو ثلاثين امرأة حملها وأصبح الوادي على حين بغتة وقد عُطِّلت أسواقه، وسُدَّت طرقاته، ومنع عنه الداخل والخارج وضرب عليه نطاق شديد محكم الحصار... ألقي القبض على الشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل بن الحاج عبد الله وسيقوا إلى السجن بقسنطينة، وحشرت جماعات من الناس إلى المركز الإداري، وزجّ بهم في السِّجن ثم حكم على عدد وفير منهم بالنفي والسخرة، كل هذا والناس معتصمون بالصبر ومنتظرون للفرج ...ثلاثة أسابيع ذاق فيها أهل الوادي ما ذاقوا وطافت فيها الجنود شرقا وغربا وشمالاً وجنوباً...[32] ».

أما على مستوى الحياة العامة فقد شددت الرقابة على المناطق الحدودية مما عطل مسار الحركة التنقلية خاصة لدى الفئة الممثلة للعمالة المهاجرة للمناجم بتونس مما

انعكس سلبا على مستوى الجانب الاقتصادي خاصة التبادل التجاري. ورغم هذا التعسف، والاضطهاد إلا أن رغبة المواصلة في مسيرة الإصلاح ظلت قائمة لدى الكثير من الشخصيات، حيث نجد الشيخ عبد العزيز الشريف يراسل مؤتمر الطرق والزوايا بالجزائر المنعقد ببسكرة خلال شهر أفريل 1938 من داخل سجن الكدية، وذلك من خلال الخطاب الذي ألقاه بالنيابة عنه أخوه الشيخ محمد الصالح الشريف، حيث تضمن الإشادة بالعنوان الذي حمله المؤتمر "**جامع اتحاد الزوايا**"، لكنه مع ذلك انتقد الطرقية لما تمثل من ركود وتخلف، وقد جاء الخطاب كاملا في حلقتين بجريدة **البصائر** في عدديها 112[33]، و113[34]، وهذا للتأكيد على حضوره المستمر في هذه المحافل، رغم العوائق العديدة التي يصطنعها الطرقيون وإدارة الاحتلال.

ب – خطاب الشيخ عبد العزيز الشريف وموقعه من المواطنة والشخصانية :

إن فن الخطاب فن عريق شهده الأدب العربي انطلاقا من الخطب التي اختلفت من حيث الأغراض، غير أن الذي يهمنا هو الخطاب السياسي الذي كان من أهم الوسائل التي وظفتها الحركة الوطنية الجزائرية في الثلاثينات والأربعينات من القرن 20م، وجمعية العلماء الجزائريين المسلمين كانت تمثل التيار الإصلاحي انطلاقا من أهداف الجمعية، وبرنامج العمل الذي سعت إلى إرسائه رغم ما شابه من تضييقات وعراقيل متكررة، لكن هذا الوضع لم يمنع الأعضاء من الحضور والإفصاح عن مواقفهم من خلال الكتابة والخطابة، ذلك عن طريق الصحف الصادرة، والمؤتمرات المنعقدة التي ما فتئت وجمعية العلماء الجزائريين المسلمين تعبر من خلالها عن مواقفها تجاه القضايا المتعلقة بالجزائر كوطن يأملون في تحريره من ربقة الاحتلال، والسكان الجزائريين المسلمين المشكلين للأمة الإسلامية من دعمهم والوقوف إلى جانبه للتعريف بانشغالاته وهمومهم المتعددة خاصة التعليم الذي يعد الأداة الفاعلة باعتبار السلاح الأجدى في مقارعة

الاستغراب، لذلك كان الخطاب أسلوب ناجع لتحديد الخلل وتشخيص الدواء، وقد كان الخطاب الإصلاحي يتميز بخصائص عديدة فنية منها وأدائية، وسياسية، الذي يهمنا هنا الخصائص الأدائية والسياسية، التي يمكن حصر خصائصها في النقاط الموالية :

1- جدية الطرح، ومفاصحة المخاطب.

2- تشخيص المشكل، وتحديد الأسباب المحدثة لذلك.

3- طرح العلاج من خلال تحديد الوسائل، والآليات لعلاج المشكل.

4- حمل الهموم بجدية، واعتبارها انشغال ضروري.

5- ظهور البعد الجماعي في رفع الانشغال.

6- الاعتماد عن القيم الأخلاقية كضرورة حتمية في معالجة المشاكل، وهذا انطلاقا من الانتماء للإسلام.

7- معالجة القضايا باختلاف ميادينها من خلال طرح موقف موحد لا ازدواجية فيه تجاه المتسبب في ذلك.

8- النظر للاحتلال عائق لا بد من إزالته ومحاربته.

وخطابنا المراد دراسته هو خطاب توعوي الغرض من خلاله إشهاد رجال الطرق الصوفية بضرورة الدور الملقى على عاتقهم باعتبارهم أطراف فاعلة في المجتمع الجزائري المحتل، وذات حضور فاعل يؤثر بما يمكن من خلال الفئات الملتفة حولهم، ومن هنا جاء الإشكال الذي تمحور حول موقف الخطاب الإصلاحي من المواطنة والشخصانية، وحتى نستطيع فك رموز الإشكال لا بد من تناول مفهوم المواطنة الذي بدوره يحدد الشخصانية.

إن المواطنة هي مدلول واصطلاح حديث برز مع مدلول الوطن السياسي، بالرغم من كون كلمة وطن التي جاء ذكرها في لسان العرب « الوَطَنُ المَنْزِلُ تقيم به وهو مَوْطِنُ

الإنسان ومحله[35]. »، والمواطنة في الحقيقة مدلول مقترن أساسا بالوطنية ومن هنا يبدو لنا المفهوم الوطنية/ المواطنة كأحد المفاهيم المهمة والتي تحتاج إلى رؤية متزنة وحكيمة تنفي ما يتعلق بها من خلل المدلول، كما أن المواطنة هي الجنسية والتبعية، حيث تدل على الانتماء السياسي والحقوقي إلى دولة ما[36]. ويتأكد من خلالها على المشاركة الفاعلة والواعية خدمة للمجتمع وتنميته. ومفهوم الوطنية/المواطنة وأبعادها الفلسفية. في تقدير الكثير من المفكرين أن الوطنية هي الإطار الفكري النظري للمواطنة.

وهذا لا يمكن إدراكه إلا من خلال الوقوف على معنى الوطنية التي تدل على أنها عملية فكرية. أما المواطنة فهي تعني الممارسة العملية. والمواطنة "مفاعلة "؛ أي مشاركة. وبهذا يكتمل ويتكامل معنى التجريد بالتجسيد. وقد يكون الإنسان مواطناً بحكم الجنسية أو الولادة، أو غيرها من الأسباب الأخرى. فالدكتور طه جابر العلواني يذكر أن الاهتمام بهذا المصطلح قد نشأ مع ظهور الدولة الحديثة، وحدودها الجغرافية والسياسية. ولفظ "مواطن" تعبير لم يظهر إلا بعد الثورة الفرنسية سنة 1789م. أما قبلها فالناس لم يكونوا قد اعتادوا على المصطلح فهم يطلقون مدلول : ملل وشعوب وقبائل.

وإذا ما وقفنا على خطاب الشيخ عبد العزيز الشريف فإننا نجد في دباجة الخطاب بالحلقة الأولى بعد حمد الله تعالى والصلاة على الرسول ﷺ أنه وقف على مدلول الجمع والاستئناس الذي لا يتحقق إلا في ظل المجتمع وهو يقول : « الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الإخوان المحترمون : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحيّة من عند الله وبركاته تحيّة طيّبة، شرعها الله لتكون عنوانا على الأخوة ودليلا على الأمان. ومجلبة للبشر والإيناس وطاردة للوحشة والوسواس. واستئذانا من القلوب على القلوب بعدما

تلاقى الأجسام بالأجسام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. شعار الإسلام الصادق. وعلمه الخافق. ورمزه الناطق.

أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بإفشائه بيننا لتفشو الرحمة والمحبة. وبتعميمه ليعم التعاون وتتحقق الحكمة. فالسلام عليكم أيها الإخوان ورحمة الله وبركاته عودا على بدء[37]. ».

وهو هنا يؤكد على أن إفشاء تحية الإسلام " السلام عليكم ورحمة الله " هي أمر شرعه الله حتى تكون عنوانا على الأخوة ودليلا على الأمان. وهذان من أهم موجبات المواطنة التي تعد في الأساس تحملا للمسؤولية قصد قبول الآخر دون ترد، نافيا لآلية الإقصاء والتهميش بالرغم من الاختلاف الظاهر بين الإصلاحيين والطرقيين، لأنه يواصل حديثة ليجسد ملامح الاستئناس والمحبة، التي من خلالها يجسد روح الاجتماع الذي يعد عنصرا أساسيا بين أفراد المجتمع المشكّل للوطن، كما أنه يحاول تذكير الحاضرين بضرورة السعي للوحدة، ونبذ كل ما هو مجلب للخلاف لأن الوضع الذي عليه الجزائر يستدعي الرحمة والمحبة لكونهما مجلبة للتعاون انطلاقا من أمر الرسولﷺ لجميع المسلمين.

ثم نجده يواصل حديثه ليؤكد على حقيقة العلاقة القائمة بين جميع الأطراف الفاعلة والمثقفة بالجزائر، التي ينبغي أن تكون عليه، ذلك من خلال قوله : « أيها الإخوان : ليس العجيب من أمركم أن تجتمعوا وإنما العجيب أن تتفرقوا. وليس الغريب أن يتفق المسلمون على الخير بل الغريب أن يختلفوا على الشر. ولقد – والله – اختلفنا وتفرقنا وتقطعت روابطنا وتباعدت قلوبنا وتشتت شملنا فأبدل الله قوتنا ضعفا وعزنا ذلا وكثرتنا قلة. وأصبحنا سخرية الساخر. ولعنة الأول والأخر. وما ظلمنا الله ولكن الحجة البالغة لله علينا[38]. » وهنا يؤكد على ضرورة التقارب لما عليه المسلمون من أصل، لأن القوة في التوحد وتفعيل التآزر من أجل إبطال مزاعم المحتل، ولأن الاحتلال لا يميز بين

إصلاحي وطرقي، فكلاهما يمثل لدى إدارة الاحتلال الفرد الأهلي، الذي لا يرقى إلى مصاف المواطن صاحب الحقوق الكاملة، ليضيف تأكيده على أن البلاء لا يمكن مواجهته إلا من خلال الموازنة بين العاطفة والعقل للوصول بالأمة إلى برّ النجاة. هذا باديا من خلال قوله : « أيها الإخوان : أنا طرقي وراثة وابن زاوية عريق في نسبه الزاوية والطرقية إلى بضعة أجداد في التاريخ. وعندي من العلم ما أفرق به بين الحق والباطل على الأقل. أومن بلقائه بان لا طرقية في الإسلام ولا زاوية في الإسلام ولا طائفية في الاسلام. وبأنه إن كان في هذه الزوايا وهذه الطرق خير فإن شرها يذهب بخيرها وبأن من آثارها النفسية التي لا ينكرها إلا أعمى البصيرة أنها فرقت كلمة المسلمين لا أتكلم عن غائب ولا عن مجهول وإنما أتكلم عن مشاهدة وعيان وأعبر عن وجدان لا تزال آثاره في نفسي التي بين جنبي لو لا أن عصمني الله بما وفقني إليه من العلم وإنني أدين الله أيضا بأن هذه الحركة القائمة إنما هي ضد البدع المحدثة في الدين وإنها إن أتت بإذن الله محفوظ بحفظ الله.

وإني فهمت ولا زلت أفهم من أفول القائمين بها وأعمالهم ومراميهم أنها ليست موجهة لهدم الزوايا وإنما هي موجهة لإصلاحها[39]. »، وفي آخر الخطاب نجد الشيخ عبد العزيز يفصح على مخططات المحتل التي يود تحقيقها من جهل وطمس للمعالم الحضارية، التي ينتم إليها المجتمع الجزائري، ليس التجويع والتفقير لأن هذه الملامح يمكن مقاومتها إذا ما استطعنا المحافظ على مقومات الهوية والانتماء الحضاريين، هذا ما تؤكده الفقرة الأخيرة من الخطاب في قوله : « أيها الإخوان إن موقف الأمة الجزائرية في حاضرها موقف الممتحن المرهف. لم تبتل من قرون بمثل البلاء الذي تعانيه الآن — لا أقول العسر والمجاعة والقحط والغلاء وإنما أريد مضايقة الحكومة لها في دينها ولغتها فانتم تعلمون سلسلة هذا البلاء من اقفل المساجد في وجوه العلماء إلى قرار 8 مارس الماضي[40] فهل أنتم مدركون لمغزى هذه القرارات؟ إنها حرب لدينكم ولغتكم. وإنها فتنة

ستقضي على التعليم الديني والعربي بهذا الوطن. وأنه لا تخص فريقا دون فريق. وأن الامة من ورائكم ترقب أعمالكم في هذا الاجتماع وموقفكم من هذه المسألة الخطيرة التي هي مسألة الامة كلها. وكلمتكم الفاصلة فيها. فانظروا ما أنتم فاعلون فيها وما أنتم قائلون.

إنه لا دافع لهذا البلاء النازل إلا بتضامن الجهود على دفعه واجتماع الكلمة لتفريقه وتناسي الأغراض والحزازات. وإحياء سنة السلف في الاتحاد وتراص الصفوف إذا نزلت بالإسلام كارثة أو حز به أمر.

أيها الإخوان إن الآية المرفرفة على اجتماعكم هذا هي قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[41].

وإنها فصل الخطاب في هذا الباب فانظروا هل هي حجة لكم أو عليكم. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[42].».

في حين أن نبذ الشخصانية[43] تجسد في الخطاب حينما بدأ الشيخ يشخص الداء الحقيقي الذي يعيشه المجتمع الجزائري من خلال ما جسده الشيوخ الزمنيين للطرق والزوايا، الذين لم يعبؤوا بما تحاول إدارة الاحتلال تجسيده من خلال تكريس التفرقة، ذلك من خلال إنجاح سياسة تفكيك البنية الاجتماعية، وهو هنا يحاول أن يقدم النصح دون أن يتنكر لما هو عليه من انتماء للطرق، لكن يعود ويؤكد على ضرورة تصويب المسار الذي ينبغي أن تكون عليه الطرق والزوايا من خلال ما أقره بحسب الآية القرآنية التي وظفها في ختام الخطاب.

هذا خطاب دال على حقيقة الوضع الذي كانت عليه الجزائر انطلاقا من الخلافات المصطنعة بين الإصلاحيين والطرقيين، الذي تحاول إدارة الاحتلال تفعيل قصد كسب الرهانات السياسية والثقافية التي تضمن لها أحقية البقاء في الجزائر المحتلة،

وهو هنا يحاول أن يلتف عن هذه السياسة، ذلك أدركا لمدلول المواطنة المبرز لمفهوم الوطنية، التي تتأكد من خلال تحمل جميع الأعباء في ظل المسؤولية السوية، التي لا تتحقق إلا من خلال تجسيد المعادلة القائمة على الواجبات والحقوق.

ومن جهة أخرى فإن الخطاب الموجه للمؤتمر الطرق والزوايا يفصح على الفطنة التي كان عليها الشيخ عبد العزيز الشريف وهو نموذج من بين عناصر عديدة تعج بها الجزائر المحتلة، انطلاقا من الثقافة السياسية التي تشبع بها جيل العشرينات من القرن 20م، وهو الدفعة الأولى التي راهن عليها الشيخان الإمام عبد الحميد بن باديس والأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، التي تلقت تحصيلها العلمي بجامع بالزيتون الأعظم.

أما عن أصداء الخطاب بوادي سوف كانت ذات أبعاد فاعلة، ذلك لكون الخطاب شامل وجاد لم يكن من خطابات التزلف والتقرب، بل هو خطاب ينم عن الوعي السياسي الذي ما فتئ الشيخ عبد العزيز الشريف يلوح الإفصاح به، هذا بالإضافة إلى الاستعدادات الكامنة لدى الكثير من الأشخاص المتابعين للأحداث، بل حتى بعض أعلام ورموز الطرق الصوفية، وعلى رأسهم التجانيين والرحمانيين(العزوزيين)، ذلك للوعي والحس الكامن لدى النخب مع الوعي التام لدى تلك الفئات، حتى أننا وجدنا تلاؤم تام بين العناصر المشكلة لكل الفئات : الإصلاحية والطرقية، وبعض القياد وموظفي إدارة الاحتلال، التي ذهبت إلى تشكيل جمعية عرفت بـ "**الجمعية الدينية الإسلامية بالوادي** (وادي سوف)"، ذلك بموجب التاريخ المقيد بسجل ميزانية الجمعية بتاريخ 20 ديصامبر 1948، ومن أبرز أعضائها الشيخ الأخضر الإمام قادري رئيسا للجمعية، والشيخ لخضر شبرو رئيسا سابقا لشعبة جمعية العلماء، وهو أمين مال الجمعية، والشيخ حسين زبيدي قايد كوينين، وهو أحد موظفي إدارة الاحتلال، والشيخ محمد الطاهر بن محمد الصالح بن سيدي سالم شيخ الزاوية الرحمانية

(العزوزية) بالوادي، والشيخ العيد بن يامة مقدم الطريقة التجانية، وغيرهم من الشخصيات الأخرى، فكان ذلك تعبير على تكييف العمل حسب ما تقتضيه الظروف[44]، كما كان الخطاب الذي بعث به الشيخ عبد العزيز الشريف لملتقى الطرق الصوفية والمنظم من طرف جمعية السنة بمثابة المرفه للوضع البائس لدى الإصلاحيين، فكان الخطاب متنفس سمح لغالبية المنتسبين للحركة الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن يسترجعوا حالة من الانتعاش، ذلك من خلال مدارسته والوقوف على أفكاره بالتحليل والمناقشة، فكان ذلك بمثابة باعث الأمل لما أصبحت عليه وادي سوف من أيام عصيبة، نتيجة المواقف التي باتت تندرج تحت مظلة المواقف السياسية، مما جعل إدارة الاحتلال تنظر إلى الحركة الإصلاحية بوادي سوف على أنها حركة سياسية أكثر منها إصلاحية اجتماعية، وعليه بات من الضروري التضييق على أعضائها بشتى الأساليب والوسائل، حتى يتلاش وجودها بالمنطقة من خلال نبذ السكان المسلمين لها جراء المضايقات التي أصبح يخضعون لها.

وخلاصة القول إن الخطاب الإصلاحي خطاب واع لما يمكن أن يجسده، حتى يستطيع أن يكون أداة فاعلة للمساهمة في مقاومة سياسة الاحتلال، انطلاقا من الشعور بالانتماء إلى الأمة الجزائرية، فكان لزاما على الشيخ عبد العزيز الشريف أن يراعي هذا الضابط، الذي يعد ضابطا أساسيا لتجسيد ملامح المجتمع الجزائري، الذي قاوم بما استطاع من إمكانات مادية ومعنوية، حتى يستطيع مجابهة سياسة التغريب، التي ما لبث المحتل أن يجسدها واقعا، فكان الخطاب لبنة من لبنات الشخصية الجزائرية التي مثلت فسيفساء من التنوع على مستوى الحركة الوطنية، ذلك في إطار قبول الآخر دون تفعيل روح الإقصاء والتهميش، الذي عجزت على تحقيقه الحركات بمختف أطيفها السياسية والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية حتى في الوقت الراهن، هذا تجسيدا لمبدأ تأصيل المواطنة ونبذ الشخصانية، للوصول إلى تحقيق المشروع الأكثر قدرة في منح الجزائر المحتلة

استقلالها ولو على مستوى عالم المفاهيم لدى غالبية عناصر المجتمع الجزائري خلال الثلاثينات.

دون تناس الوضع الذي كان عليه الشيخ عبد العزيز الشريف، المتمثل في وضعية سجنه، الذي قد يسبب عامل إعاقة في كسب حريته، فكان ذلك عاملا إضافيا دالا على مدى بلوغ الوعي الحركي المؤدي لتحمل أعباء المسؤولية المجسدة لروح المواطنة والرافضة لما سواها.

الخاتمة :

إن القارئ لأدبيات الحركة الإصلاحية بالجزائر يقف عند العديد من الصور والمشاهد التي حاولت تشخيص الوضع، الذي كانت تحياه الجزائر المحتلة من منطلق الشعور بالمسؤولية الحضارية تجاه المجتمع برمته، ذلك قصد إيجاد حلول للمشاكل العالقة، كما كان دور جمعية علماء المسلمين الجزائريين فاعلا وحاضرا للمشاركة في رفع الغبن، لذلك كان الخطاب الإصلاحي ينم عن روح المشاركة، مما يرفع من مستوى الشعور بالمواطنة لدى أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكل من يؤمن بضرورة الإصلاح البناء كمنفذ لتجاوز كل العقبات التي تحول دون تحقيق الاستقلال المرتقب. في حين نجد أن الشخصانية محدودة الانتشار وإن وجدت لدى البعض القليل، ذلك لكون أعضاء الحركة الإصلاحية بشر يصيبون ويخطؤون، مما يدفع البعض منهم إلى تغليب الشخصانية.

وفي الغالب فإن الخطاب الإصلاحي خطاب يكرس روح المواطنة في حين يقلم من تنامي الشخصانية البغيض. ومن هنا يتبين أن الشعور بالمسؤولية هو المنطلق الأساس لنمو روح المواطنة لدى الخطيب، وهذا لا يتأتى إلا من خلال مساهمة هذا الأخير في رفع التحديات من أجل البقاء والمراهنة على تجاوز كل العقبات للوصول بالبلاد إلى

المبتغى المرجو، المتمثل في الوحدة الوطنية التي من خلالها يكتمل البناء، وتتعاظم المطالبة بالاستقلال.

الملحق :

نص الخطاب

الذي ألقاه الشيخ محمد الصالح بن الشيخ الهاشمي

في مؤتمر الطرقية نيابة عن أخيه الشيخ عبد العزيز.

– ١ –

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الإخوان المحترمون : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحيّة من عند الله وبركاته تحيّة طيّبة، شرعها الله لتكون عنوانا على الأخوة ودليلا على الأمان. ومجلبة للبشر والإيناس وطاردة للوحشة والوسواس. واستئذانا من القلوب على القلوب بعد ما تلاقى الأجسام بالأجسام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. شعار الإسلام الصادق. وعلمه الخافق. ورمزه الناطق. أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بإفشائه بيننا لتفشو الرحمة والمحبة. وبتعميمه ليعم التعاون وتتحقق الحكمة. فالسلام عليكم أيها الإخوان ورحمة الله وبركاته عودا على بدء.

أيَّها الإخوان وحسبي في هذا المقام مخاطبتكم بيا أيَّها الإخوان. فإن المعنى المعظم الجامع بيننا هو الأخوة في أسمى معانيها – أخوة الدين وما أدراكم ما أخوة الدين الحبل المتين. والعورة الوثقى. والصلة المتينة التي ترث الحبال ولا ترث. وتزول الجبال ولا تزول.

إن العقلاء لا ينظرون من اجتماعكم هذا إلا أنه اجتماع أخوي ديني. إذ هذا هو الذي تعطيه ظواهره وتنطق به أخباره وإعلاناته فلنجتهد أن يكون ما بطن منه موافقا لما ظهر. وأن يعلم الله من سرائرنا وأن يتحقق من نتائجه في بعث الأخوة الإسلامية ونشرها بين الغائبين عنه. أضعاف أضعاف ما تحقق في الحاضرين فيه.

أيها الإخوان : ليس العجيب من أمركم أن تجتمعوا وإنما العجيب أن تتفرقوا. وليس الغريب أن يتفق المسلمون على الخير بل الغريب أن يختلفوا على الشر. ولقد – والله – اختلفنا وتفرقنا وتقطعت روابطنا وتباعدت قلوبنا وتشتت شملنا فأبدل الله قوتنا ضعفا وعزنا ذلا وكثرتنا قلة.وأصبحنا سخرية الساخر. ولعنة الأول والأخر. وما ظلمنا الله ولكن الحجة البالغة لله علينا.

أيها الإخوان لقد سررنا – يعلم الله – بالعنوان من اجتماعكم هذا قبل أن نقرأ الكتاب. وابتهجنا بالكلمات قبل أن نفقه المعني وفرحنا بالمقدمات قبل أن نرى النتائج ثم أرد الله فشاركناكم فيه بأبداننا وألسنتنا عسى أن نسمع كلمة خير ترضي الله فننتفع بها أو نقول كلمة حق فنؤدي بها واجبا مع الله ومع عباده المؤمنين – ولقد قرأنا يوم قرأنا عنوان (جامعة اتحاد الزوايا) ففرحنا من جهة. وحزنا من جهات.. خفقت قلوبنا خفقة الفرح لكلمة (جامعة) ولكلمة (اتحاد) لأننا نعلم أن حياة الأمم تنبني على أساس هاتين الكلمتين وأننا معشر المسلمين أولى الأمم بالاجتماع والاتحاد.

وحزنا كثيرا لقصور هذا الاتحاد – إن تحقق – على طائفة من المسلمين دون طوائف ووددنا لو كان هذا العنوان عاما في مدلوله شاملا للمسلمين كلهم ولو كان هذا الشعور بضرورة الاتحاد كاملا في معناه. ولو كانت هذه الأفكار التي استخدمت لتكوينه متسعة في تفكيرها ولو كانت هذه العزائم التي سعت فيه مجتهدة في تعميمه – إذ لكان السرور عاما والفرح شاملا والنتيجة كلها خيرا وبركة. وإذا لا رضى العاملون ربهم ونبيهم

ودينهم. وإذا لا رغموا شياطين الإنس وشياطين الجن العاملين على تفريق الأمة الدائبين في تمزيقها.

أيها الإخوان : كما أننا لا نختلف في فضل الاجتماع والاتحاد يجب أن لا نختلف في شيء آخر. وهو أنه ليس العبرة بالاجتماع الأجوف الذي تحشد فيه أفواج الخلائق وتلقى فيه الخطب المحبرة. ولا بالاجتماع الذي تثور فيه الحقود وتنمو بسببه الضغائن من طائفة من المسلمين على طائفة أخرى – وإنما العبرة بآثار الخير الملموسة ونتائج النفع المحسوسة التي يثمرها الاجتماع وتعود على الأمة بالرحمة والخير والفلاح.

وأنه لا قيمة لاجتماعنا هذا إلا إذا كان معارضا للحقائق تجلى فيه بكل صراحة. وملجأ لكلمة الحق تلقى فيه بكل حرية،

وأنه لا مكافأة لما صرفه الاخوان الحاضرون من وقت ومال في سبيل هذا الاجتماع. إلا ما يسمعونه من حقائق يتبادلونه من نصائح دينية وإرشادات ويقومون به جميعا من واجب التواصي بالحق والتواصي بالمرحمة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر – فإن لم يكن هذا فلنعلم أننا غششنا أنفسنا وغششنا المسلمين وأسخطنا الله ورسوله وصالحي المؤمنين.

إن هذا الاجتماع سوق أقمناه ومعرض نظمناه فكان من أول عيوبه ونقائصه ما في اسمه من تخصيص النسبة وقصور الإضافة، – ثم دعونا الناس إليه ليتماروا ويختاروا فلننظر لعل مؤمنا موفقا رباه كتاب الله وهذبته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم – ينبذ ولا يختار وينكر ولا يعرف – ولننظر بم يرجع هؤلاء الاخوان الحاضرون وبم ينقلبون الى أهلهم؟ أبغنائم جديدة. وذخائر مفيدة، أم بتفرقة أخرى شديدة وأخلاق مبيدة.؟

أيها الاخوان لو كان هذا الاجتماع دنيويا عقد باسم الدنيا ولغرض من أغراض الدنيا – لكان للتخصيص فيه معنى. ولكان للطائفية فيه عذر مقبول وغرض

معقول.لان الناس فرقت بينهم أسباب الدنيا ومصالحها واختلفت بسببها آراؤهم واختصاصاتهم في صناعته لا يشاركه فيه الفلاح مثلا.

ولكن هذا الاجتماع ديني في معناه ومبناه وباسبابه ودواعيه. وليس في الدين حرفة ينفرد أهلها برأي ولا تجارة ينفرد أصحابها ببضاعة. وانما هو كتاب الله منه المبدأ واليه المصير. وعليه قامت سنة نبينا صلى الله عليه وسلم. وعليه استقام هدي سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وبهذه الثلاثة قامت الحجة علينا وبهذه الثلاثة ندين ربنا وعلى هذه الثلاثة يجتمع شملنا وتتفق كلمتنا والى هذه الثلاثة يجب أن تكون دعوتنا جهارا بلا اسرار، وجمعا بلا تفرق، فما أحق هذا الاجتماع بان تكون دعوته الجفلى وأن يكون باسم الامة الاسلامية كلها لتجتمع على الكلمة الجامعة من كتاب ربها وسنة نبيها وما أحقه أن يزدان بحضور علماء الوطن الجزائري الذين هم زينته ومفخره.

(البصائر : العدد 112.)

بقية الخطاب

الذي ألقاه الشيخ محمد الصالح بن الشيخ الهاشمي

في مؤتمر الطرقية نيابة عن أخيه الشيخ عبد العزيز

– ٢ –

أيها الاخوان : لا يختلف عاقلان أن معظم ما أصاب هذه الامة من البلاء انما جاءها من تفرق الاهواء

برؤسائها الدنياويين. ومن تفرق النسب برؤسائها الدينيين. ولا ثالث لهذين وقد طال على هذا البلاء الامة حتى استعصى على العلاج. – فالواجب على كل من في قلبه مثقال ذرة من الرحمة بهذه الامة أو الشفقة عليها أن يعين على ازالة اسباب هذا البلاء. وإن أحق الناس بالدعوة الى هذا هم العلماء وقد كانت هذه الدعوة وكانت

صارخة مستفزة فثقلت على النفوس وقوبلت من بعضها بالاشمئزاز والتنفير. ومن بعضها بالرد والصد. ولا نخفي الحق اذا قلنا إن الاجتماع أثر من آثار تلك الدعوة.

لكن الحق يجب أن يقال في هذا المقام هو أن تلك الدعوة في ذاتها حق لانها تدعو الى كتاب الله وهو حق والى السنة رسوله وهي حق والى هدي السلف وهو حق. والى هدم البدع التي لابست الدين وهي موجودة حقا وكثيرة حقا وكلها شر حقا وباطلة حقا – والواجب على كل مسلم هدمها حقا.

ومن الحق الذي يجب أن يقال في هذا المقام ان ثقل تلك الدعوة على بعض النفوس ليس من طبيعة تلطك الدعوة وانما هو من طبيعة تلك النفوس والواجب علينا قبل كل شيء أن نفرق بين ما هو حق من حقوق الدين. وبين ما هو حظ من حظوظ النفس وأن نربيها على الاتساع والاذعان والرجوع للحق. وأن نربي آذاننا على سماع كلمة الحق. والسنتنا على النطق بها.

أما والله أما والله لو أننا رضنا أنفسنا قليلا على هذا الاخلاق الدينية لكان حقا من الدين عظيما ومكاننا من رحمة الله ونصره قريبا. ولكان اجتماعنا اليوم للحصاد لا للزرع وللتحلية لا للتخلية وللاعمال الايجابية لا للوسائل السلبية ولتحصيل ثمرات الاجتماع. لا لتقرير أسباب الخلاف والنزاع.

أيها الاخوان : أنا طرقي وراثة وابن زاوية عريق في نسبه الزاوية والطرقية الى بضعة أجداد في التاريخ. وعندي من العلم ما أفرق به بين الحق والباطل على الاقل. أومن بلقائه بان لا طرقية في الاسلام ولا زاوية في الاسلام ولا طائفية في الاسلام. وبانه إن كان في هذه الزوايا وهذه الطرق خير فان شرها يذهب بخيرها وبان من آثارها النفسية التي لا ينكرها الا أعمى البصيرة أنها فرقت كلمة المسلمين لا أتكلم عن غائب ولا عن مجهول وإنما أتكلم عن مشاهدة وعيان وأعبر عن وجدان لا تزال آثاره في نفسي التي بين جنبي لو لا أن عصمني الله بما وفقني اليه من العلم وانني أدين الله أيضا بان هذه

الحركة القائمة إنما هي ضد البدع المحدثة في الدين وإنها إن اتت بإذن الله محفوظ بحفظ الله.

وإني فهمت ولا زلت أفهم من أفول القائمين بها وأعمالهم ومراميهم أنها ليست موجهة لهدم الزوايا وإنما هي موجهة لإصلاحها.

أيها الاخوان إن موقف الامة الجزائرية في حاضرها موقف الممتحن المرهف. لم تبتل من قرون بمثل البلاء الذي تعانيه الان – لا أقول العسر والمجاعة والقحط والغلاء وإنما أريد مضايقة الحكومة لها في دينها ولغتها فانتم تعلمون سلسلة هذا البلاء من اقفل المساجد في وجوه العلماء الى قرار ٨ مارس الماضي فهل أنتم مدركون لمغزى هذه القرارات؟ إنها حرب لدينكم ولغتكم. وإنها فتنة ستقضي على التعليم الديني والعربي بهذا الوطن. وانه لا تخص فريقا دون فريق. وان الامة من ورائكم ترقب أعمالكم في هذا الاجتماع وموقفكم من هذه المسألة الخطيرة التي هي مسألة الامة كلها. وكلمتكم الفاصلة فيها. فانظروا ما أنتم فاعلون فيها وما أنتم قائلون.

إنه لا دافع لهذا البلاء النازل الا بتضامن الجهود على دفعه واجتماع الكلمة لتفريقه وتناسي الاغراض والحرازات. وإحياء سنة السلف في الاتحاد وتراص الصفوف اذا نزلت بالاسلام كارثة أو حز به أمر.

أيها الاخوان إن الاية المرفرفة على اجتماعكم هذا هي قوله تعالى :

﴿فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾. وإنها فصل الخطاب في هذا الباب فانظروا هل هي حجة لكم أو عليكم. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته عبد العزيز بن الهاشمي .

(البصائر : العدد 113.) مؤتمر الطرقية المنعقد ببسكرة 1938.

الهامش :

[1] قدم في اليوم الدراسي في نشاط وحدة البحث الموسومة بعنوان : **المنابع الفكرية والروافد السياسية للحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1954**، يوم الثلاثاء 23 ربيع الأنوار 1431هـ/09 مارس 2010، بمعهد العلوم الاجتماعية والإنسانية بالقطب الجامعي بالشط-الوادي.

[2] إبراهيم مياسي : "جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف"، **مجلة الثقافة**، العدد 109، الجزائر، جوان1995، ص163.

[3] سعد بن البشير العمامرة، وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص47.

[4] علي غنابزية : "عبد العزيز الشريف وزاوية الوادي ودورها في التاريخ"، **برنامج بيوت عامرة**، إذاعة سوف المحلية، 1997، الساعة 14:00.

[5] إبراهيم مياسي : **مقاربات في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 104.

[6] محمد الحسن فضلاء : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج 3، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2002، ص139.

[7] جلال الدين السيوطي : **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، كتاب رقمي موقع الوراق، http://www.alwarraq.com، عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

[8] توفي الشيخ محمد الهاشمي يوم 23 سبتمبر 1923م ودفن بالبياضة. – ينظر عاشوري قمعون : "دور عائلة الشيخ إبراهيم الشريف..."، المرجع السابق، ص79.

[9] علي غنابزية : "عبد العزيز الشريف وزاوية الوادي"، المرجع السابق.

[10] حمزة بكوشة : "الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف سنة 1918م"، **محاضرة مرقونة**، ألقيت بورقلة بثانوية علي ملاح بمناسبة الموسم الثقافي، أفريل 1987، ص7.

[11] **البصائر :** العدد 123، السنة الثالثة، الجمعة 24 جمادى الأول 1357 هـ/ 22 جويلية 1938.

[12] عاشوري قمعون : "دور عائلة الشيخ إبراهيم الشريف ..."، المرجع السابق، ص79.

[13] عاشوري قمعون : نفس المرجع، ص

[14] التطويع : شهادة تعادل اليوم البكالوريا، ولكن يظهر أنها كانت أكثر وأغزر وأعمق منها علما ينظر : إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص223.

[15] إبراهيم مياسي : نفس المرجع، ص223.

[16] بوصبيع العايش علي : المرجع السابق، ص34.

[17] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، المرجع السابق، ص104.

[18] علي غنابزية : "عبد العزيز الشريف وزاوية الوادي"، المرجع السابق.

[19] عمار هلال:"من الشخصيات الجزائرية التي لم ينفض عنها الغبار بعد، الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي"، **الندوة الفكرية السادسة محمد الأمين العمودي**، 2930 أفريل/ و 01 ماي 1993، دار الثقافة، الوادي، ص41.

[20] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 322. إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**.، ص 223.

[21] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 323.

[22] عمار هلال : **أبحاث ودراسات**، ص 324. إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ص 223.

[23] عمار هلال : "من الشخصيات الجزائرية"، **مجلة الثقافة**، المرجع السابق، ص282.

[24] علي غنابزية : "النشاط السياسي لجمعية العلماء"، المرجع السابق، ص37.

[25] إبراهيم مياسي : **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، المرجع السابق، ص221.

[26] عمار هلال : "من الشخصيات الجزائرية"، **الندوة الفكرية**، المرجع السابق، ص48.

[27] إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص235.

[28] علي غنابزية : "نشاط جمعية العلماء"، المرجع السابق، ص38.

[29] عمار هلال : "من الشخصيات الجزائرية"، **الندوة الفكرية**، المرجع السابق، ص ص4950.

[30] أحمد صاري : المرجع السابق، ص55.

[31] إبراهيم مياسي : "أضواء حول الشيخ عبد العزيز "، المرجع السابق، ص28.

[32] **البصائر** : العدد 121، السنة الثالثة، 10 جمادى الأولى 1357هـ /07 جويلية 1938م.

[33] **البصائر** : العدد 112، السنة الثالثة، الجمعة 06 ربيع الأول 1357هـ / 06 ماي 1938م.

[34] **البصائر** : العدد 113، السنة الثالثة، الجمعة 13 ربع الأول 1357هـ / 13 ماي 1938م.

[35] ابن منظور : لسان العرب، برنامج المحدث المجاني، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، في كلمة وطن.

[36] ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلُّوم : **معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام**، ط1، دار التقدم، موسكو، 1992، ص ص 164، 165.

[37] **البصائر** : العدد 112، المصدر السابق.

[38] **البصائر** : العدد 113، المصدر السابق.

[39] **البصائر** : العدد 113، نفس المصدر.

[40] يقصد به قرار 8 مار س 1938م.

[41] **سورة النساء** : الآية 59.

[42] **البصائر** : العدد 113، المصدر السابق.

[43] والشخصانية لا نعني بها التيار الديني المثالي في الفلسفة المعاصرة. - ينظر ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلُّوم : المرجع السابق، ص 341.

[44] موسى بن موسى : " الجمعية الدينية الإسلامية بالوادي سوف ودورها الاجتماعي والديني "، **مداخلة بندوة مشروع بحث بعنوان الجمعيات الأهلية بالجزائر خلال 1854 – 1945**، نوفمبر 2008، بقسم التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، بالمركز الجامعي بالوادي، 2008.